

سوسيولوجيا التفاعل الرقمي- قراءة في أطر السلوك الاتصالي عبر المنصات-
**Sociology of Digital Interaction - A Reading of the Frameworks of
Communicative Behavior Across Platforms**

تاريخ النشر: 2026/04/30

تاريخ القبول: 2026/04/02

تاريخ الإرسال: 2026/01/05

مسلي أمينة¹¹ جامعة قسنطينة 2، الجزائر،EMAIL : amina.messelmi@univ-constantine2.dz

orcid : 0009-0005-8463-0572

الملخص:

في ظل التحولات التكنولوجية المتسارعة أصبحت المنصات الرقمية فضاءات مركزية لإنتاج التفاعل الاجتماعي وتشكيل أنماط جديدة من السلوك الاتصالي، تهدف هذه المداخلة إلى مقارنة هذا التفاعل من منظور سوسيولوجي حديث عبر تحليل الأطر النظرية التي تعالج العلاقة بين المستخدمين والمنصات الرقمية. تعتمد الدراسة على مقارنة تركيبية في فهم كيف تُنتج المنصات أنماطاً جديدة من الهيمنة والتفاوض الرمزي وتخلص المداخلة إلى أن التفاعل الرقمي لم يعد محصوراً في الإشباع الاتصالي، بل أصبح حقلاً مركباً لإعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية والرمزية، وهو ما يتطلب تجاوز النظريات التقليدية نحو أطر تفسيرية أكثر مرونة وتفاعلاً مع الطابع التكنولوجي للوسائط. الكلمات المفتاحية: التفاعل الرقمي، السلوك الاتصالي، المنصات الرقمية

المؤلف المرسل: مسلي أمينة، الإيميل: amina.messelmi@univ-constantine2.dz

Abstract :

In light of rapid technological transformations, digital platforms have become central spaces for the production of social interaction and the formation of new patterns of communicative behavior. This presentation aims to approach this interaction from a modern sociological perspective by analyzing the theoretical frameworks that address the relationship between users and digital platforms.

The study relies on a synthetic approach in understanding how platforms produce new patterns of symbolic hegemony and negotiation, The presentation concludes that digital interaction is no longer limited to communicative satisfaction, but has become a complex field for reshaping social and symbolic relationships, which requires going beyond traditional theories towards more flexible explanatory frameworks that interact with the technological nature of the media.

Keywords: Digital Interaction, Communicative Behavior, Digital Platforms

1. مقدمة:

إن الحديث عن "سوسولوجيا التفاعل الرقمي" ليس حديثاً عن مجرد تكنولوجيا بل عن تحوُّل في بنية الإنسان المعاصر؛ في الطريقة التي يرى بها نفسه ويُعرّف بها ذاته ويتفاعل من خلالها مع الآخر، ففي كل مرة نُرسل فيها رسالة أو نُشارك منشوراً أو نضع تفاعلاً على محتوى ما نحن لا نقوم فقط بفعلٍ تواصلي؛ بل نُشارك وربما دون وعي في بناء شكل جديد من الاجتماع الإنساني قائم على التفاعل الرقمي، ولقد شكَّلت الثورة الرقمية تحوُّلاً جذرياً في طبيعة الحياة الاجتماعية، ولم تقتصر آثارها على الجوانب التقنية أو الاقتصادية بل امتدت عميقاً إلى بنية التواصل الإنساني وسلوك الأفراد داخل الفضاءات الافتراضية، في هذا السياق برزت سوسولوجيا التفاعل الرقمي كحقل ناشئ يسعى إلى فهم وتحليل الطريقة التي يعيد بها الإنسان تشكيل ذاته وتواصله وعلاقاته عبر المنصات الرقمية.



إذا كان علم الاجتماع التقليدي قد اهتم بدراسة العلاقات داخل العائلة المدرسة، السوق، أو الدولة، فإن العصر الرقمي أفرز وحدات اجتماعية جديدة وهي مجتمعات المنصة حيث يُعاد تشكيل الهوية، والمكانة، والتفاعل، داخل بيئة افتراضية تفوقها الخوارزميات وتُحددها ثقافة الظهور، ويبدو الإنسان اليوم وكأنه يعيش في فضاء مزدوج واقع مادي يشمل حياته اليومية، وواقع رقمي يتجاوز الحدود المكانية والزمانية يتفاعل فيه بشكل مختلف بل ويمارس فيه أدوارًا اجتماعية جديدة .

1.1.1. الإشكالية:

أفرز التحول الرقمي خاصة مع الانتشار الواسع لمنصات التواصل الاجتماعي أنماطًا جديدة من التفاعل الاجتماعي أعادت تشكيل العلاقات والهويات وأشكال التعبير وآليات التأثير المتبادل بين الأفراد والجماعات، ولم يعد التفاعل الاجتماعي مقصورًا على الحضور الفيزيقي بل انتقل إلى فضاءات رقمية هجينة تحكمها وسائط تقنية وخوارزميات وقواعد غير مرئية تؤثر السلوك الاتصالي وتعيد إنتاجه بطرق معقدة، من هذا المنطلق تطرح الدراسة الإشكالية الآتية: كيف يمكن للسوسبولوجيا تفسير أنماط السلوك الاتصالي في الفضاءات الرقمية؟ وإلى أي مدى تسهم الأطر النظرية الكلاسيكية والحديثة في فهم التفاعل الرقمي بعيدًا عن الوصف التقني، نحو تحليل نقدي يكشف أبعاده الاجتماعية والسلطوية والثقافية؟

ويتفرع عن هذا السؤال مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- ما خصوصيات التفاعل الاجتماعي في الفضاء الرقمي مقارنة بالتفاعل المباشر؟
- كيف تؤثر البنية التقنية للمنصات الرقمية (الخوارزميات، أدوات التفاعل سياسات الاستخدام) في أنماط السلوك الاتصالي؟

- إلى أي مدى يمكن اعتبار التفاعل الرقمي فضاءً لإعادة إنتاج البنى الاجتماعية (السلطة الهوية، الرمزية)؟

2.1. منهجية الدراسة:

نظرًا للطابع النظري والتحليلي للموضوع فإن الدراسة تعتمد على المنهج الوصفي التحليلي الذي أستخدم في توصيف مفاهيم سوسولوجيا التفاعل الرقمي وتحليل الأطر النظرية المفسرة للسلوك الاتصالي عبر المنصات الرقمي، بالإضافة إلى تفكيك خصائص التفاعل الرقمي وآلياته الاجتماعية والرمزية، والمنهج النقدي ذلك بغرض نقد المقاربات السوسولوجية الكلاسيكية عند إسقاطها على الفضاء الرقمي، وإبراز حدود الفعل الاتصالي في ظل الهيمنة التقنية والمنطق الرأسمالي للمنصات، وتحليل علاقات القوة والضبط الاجتماعي غير المرئي داخل التفاعلات الرقمية، وبما أن الدراسة ذات طابع نظري فإن أدوات التحليل المعتمدة تتمثل في:

- التحليل المفاهيمي من خلال تحليل مفاهيم التفاعل الرقمي، السلوك الاتصالي و المنصات الرقمية، وتتبع تطور هذه المفاهيم في الأدبيات السوسولوجية الكلاسيكية والمعاصرة، والتحليل المقارن باجراء مقارنة بين مقاربات نظرية مختلفة وإبراز نقاط الالتقاء والاختلاف في تفسير التفاعل الرقمي.

2. الأطار النظري والمفاهيمي للدراسة:

1.2. مفاهيم الدراسة:

➤ تعريف التفاعل الرقمي: يعرف التفاعل الرقمي بوصفه نمطًا مستحدثًا من أنماط التفاعل الاجتماعي، يتم عبر وسائط رقمية وشبكية، ويقوم على تبادل الرموز والمعاني والمضامين الاتصالية بين فاعلين اجتماعيين (أفراد أو جماعات) داخل فضاءات افتراضية تحكمها بنى تقنية وخوارزميات رقمية، ولا يقتصر هذا التفاعل على مجرد نقل المعلومات بل يتجاوز ذلك ليشمل بناء العلاقات الاجتماعية، وتشكيل الهويات

الرقمية، وإعادة إنتاج القيم والتمثيلات الاجتماعية في سياق افتراضي موازٍ للواقع المادي. (الزهراني، 2019)

ومن منظور سوسبولوجي يعد التفاعل الرقمي امتداداً للتفاعل الواجهي، لكنه يتميز عنه بتحرره النسبي من قيود الزمان والمكان، وباعتماده على وسائط رمزية مكثفة (نص صورة، فيديو، أيقونات تعبيرية)، ما يمنح الفاعلين قدرة أكبر على إعادة صياغة ذاتهم وتمثيلاتهم الاجتماعية، و البيئة الرقمية لا تنقل التفاعل الاجتماعي كما هو، بل تعيد تشكيله وفق منطق تقني اتصالي يفرض أنماطاً جديدة من السلوك، مثل التفاعل السريع والتواصل غير المتزامن، وتسييل العلاقات الاجتماعية (عبد الحميد، 2015).

كما يرتبط التفاعل الرقمي بسياق المجتمع الشبكي، حيث تصبح العلاقات الاجتماعية أكثر مرونة وأقل استقراراً وتقوم على منطق الاهتمام والتمركز حول الذات الرقمية، بدل الانتماءات التقليدية القائمة على القرابة أو المجال الجغرافي، وفي هذا الإطار فالتفاعل الرقمي لا يمكن فصله عن البنى السلطوية الرمزية التي تنتجها المنصات الرقمية والتي تؤثر في اتجاهات النقاش ومستويات المشاركة وأشكال التعبير المتاحة للمستخدمين (حمودة، 2020).

وعليه فإن التفاعل الرقمي يمثل نسقاً تواصلياً اجتماعياً مركباً، تتداخل فيه الأبعاد التقنية والثقافية والرمزية، ويُعاد من خلاله إنتاج الفعل الاجتماعي في فضاء افتراضي تحكمه قواعد مختلفة عن تلك السائدة في التفاعل التقليدي، دون أن يكون منفصلاً عنه بشكل كلي.

➤ تعريف السلوك الاتصالي: يُعرّف السلوك الاتصالي بأنه جملة الأفعال والاستجابات التواصلية التي يصدرها الفرد أو الجماعة أثناء عملية الاتصال، سواء كانت لفظية أو غير لفظية، مقصودة أو غير مقصودة، في سياق اجتماعي محدد تحكمه منظومة من القيم والمعايير الثقافية، ويعكس هذا السلوك الكيفية التي يدرك بها الفاعل الاجتماعي ذاته والآخرين، ويترجم من خلالها مواقف واتجاهاته وتمثلاته الاجتماعية. (عبد الحميد، 2016)

ولا يُفهم السلوك الاتصالي بوصفه فعلاً فردياً معزولاً من الناحية السوسولوجية بل باعتباره نتاجاً للتنشئة الاجتماعية والبنية الثقافية السائدة حيث تتحدد أنماط التعبير والتفاعل وفق ما هو مقبول أو مرفوض اجتماعياً، والسلوك الاتصالي يُعد مرآة للنسق القيمي للمجتمع إذ يحمل في طياته رموزاً ودلالات تعكس أنماط السلطة وموازن القوة ومستويات الوعي الاجتماعي (علي، 2014).

وعليه يمكن اعتبار السلوك الاتصالي بُعداً دينامياً من أبعاد الفعل الاجتماعي، يتم من خلاله إنتاج المعنى وتداوله داخل المجتمع، ويتأثر بالعوامل الثقافية، والرمزية والتقنية دون أن ينفصل عن السياق الاجتماعي الذي يتشكل داخله.

➤ **تعريف المنصات الرقمية:** يعرف (حسن عماد مكايي) المنصات الرقمية في إطار حديثه عن الإعلام الجديد باعتبارها بيانات اتصالية رقمية تعتمد على شبكة الإنترنت، تتيح التفاعل المتبادل بين المستخدمين، وتمكّنهم من إنتاج الرسائل الإعلامية وتداولها، بما يحوّل المتلقي من عنصر سلبي إلى فاعل مشارك في العملية الاتصالية (مكايي، 2017).

وهناك من يعرف المنصات الرقمية بأنها نظاماً إعلامية رقمية تفاعلية تتيح الاتصال المتعدد الاتجاهات، وتقوم على الدمج بين النص والصورة والصوت، بما يخلق فضاءً جديداً للتواصل الاجتماعي يتجاوز الحدود التقليدية للإعلام» (عبد الحميد ، 2016)، وتعرف المنصات الرقمية ضمن الإعلام الإلكتروني على أنها وسائط اتصالية رقمية قائمة على التفاعلية والفورية، تسمح بتبادل المحتوى بين المستخدمين داخل فضاءات افتراضية، وتؤثر في أنماط السلوك الاتصالي والعلاقات الاجتماعية» (عزي، 2014).

وعليه يمكن اعتبار المنصات الرقمية بُنى اجتماعية تقنية هجينة تتداخل فيها الأبعاد الاتصالية والثقافية والاقتصادية، وتؤثر بصورة عميقة في أنماط التفاعل والسلوك الاتصالي داخل المجتمعات الحديثة.

2.2. المرجعيات النظرية للدراسة:

يُعدّ التفاعل الاجتماعي من المفاهيم المركزية التي انبنى عليها علم الاجتماع منذ نشأته، إذ شكّل المدخل الأساسي لفهم العلاقات الاجتماعية وبناء المعنى، وتشكّل الفعل الاجتماعي داخل السياقات اليومية، وعليه نعرض بعضاً من هذه المرجعيات المتمثلة في:

➤ من التفاعل الاجتماعي الكلاسيكي إلى وساطة التقنية: يُعد مفهوم التفاعل الاجتماعي من المفاهيم المؤسسة في علم الاجتماع، إذ ارتبط منذ نشأته بتحليل العلاقات اليومية بين الأفراد داخل سياقات اجتماعية محددة، فقد نظر ماكس فيبر إلى التفاعل باعتباره فعلاً اجتماعياً موجّهاً بالمعنى، في حين ركز جورج هيربرت ميد على الرموز واللغة بوصفها أدوات أساسية لتكوين المعنى والذات الاجتماعية، أما إرفنغ غوفمان فقد أبرز البعد المسرحي للتفاعل حيث يقدم الأفراد ذواتهم وفق أدوار اجتماعية محددة داخل مسرح الحياة اليومية، ويكشف هذا التصور الكلاسيكي أن التفاعل الاجتماعي لم يكن يوماً فعلاً تلقائياً أو عفويّاً محضاً، بل كان دائماً مؤطراً بقواعد اجتماعية غير مكتوبة، وبُنِي ثقافية تضبط ما يُقال وكيف يُقال، وعند انتقال التفاعل إلى الفضاء الرقمي لم تختفِ هذه القواعد وأعيد إنتاجها ضمن وساطة تقنية جديدة، فالمنصات الرقمية لا تلغي التفاعل الوجيه لكنها تعيد صياغته عبر آليات تقنية (الخوارزميات، واجهات الاستخدام، سياسات النشر)، ما يحول التفاعل من علاقة مباشرة إلى علاقة وسيطة، تُفلتر فيها المعاني قبل وصولها إلى الآخر (بلقزيز، 2019)، وباعتبار أن التقنية لم تعد مجرد وسيط محايد للتفاعل بل فاعل اجتماعي ضمني يسهم في إعادة تعريف طبيعة الفعل التفاعلي، فالتفاعل الرقمي ليس امتداداً بسيطاً للتفاعل الاجتماعي، بل نمطاً جديداً تتقاطع فيه الذات الإنسانية مع منطق المنصة، ما يستدعي تجاوز المقاربات الكلاسيكية نحو قراءة سوسبولوجية هجينة.

➤ التفاعل الرمزي وبناء المعنى في الفضاء الرقمي: تركز نظرية التفاعل الرمزي على أن المعاني تُبنى من خلال التفاعل اليومي، وأن الأفراد يتصرفون بناءً على المعاني التي يعطونها للأشياء، في هذا الإطار تُعد اللغة والرموز أساس التفاعل الاجتماعي، حيث

تُنتج الهوية من خلال الاعتراف المتبادل، ففي السياق الرقمي يحدث تحول نوعي في طبيعة الرموز؛ إذ تُختزل اللغة في إشارات رقمية (إعجاب، مشاركة، رمز تعبير)، ما يؤدي إلى تسريع التفاعل وتفريغه أحياناً من عمقه الدلالي، غير أن هذا الاختزال لا يعني فقر المعنى بل يعكس تحولاً في آليات إنتاجه، حيث يصبح الاعتراف الاجتماعي مرهوناً بمرئية المنشور وعدد التفاعلات لا بمضمونه فقط، وهنا يتحول التفاعل إلى عملية تقييم اجتماعي مستمرة تُنتج ضغطاً رمزياً جديداً على الفاعلين (الغدامي، 2013)، وبذلك نصل إلى صياغة مفهوم "الاعتراف الرقمي المشروط" الذي يفيد بأن قيمة الفاعل الاجتماعي في الفضاء الرقمي تُقاس بمدى توافقه مع منطق المنصة (الإثارة، الاختزال، القابلية للمشاركة)، وبذلك فإن الهوية الرقمية ليست نتاج تفاعل حر بقدر ما هي إلا حصيلة تفاوض دائم بين الذات ومتطلبات الظهور الرقمي.

➤ من الفعل التواصلي إلى الفعل الاتصالي الموجّه: طرح يورغن هابرماس نظرية الفعل التواصلي بوصفها نموذجاً للتواصل العقلاني القائم على التفاهم والحُجج داخل الفضاء العمومي، ويُفترض في هذا النموذج أن يكون التواصل خالياً من الإكراه، ومفتوحاً للنقاش العقلاني، وعند إسقاط هذه النظرية على المنصات الرقمية يظهر تناقض بنيوي فالفضاء الرقمي يبدو ظاهرياً مفتوحاً وديمقراطياً، لكنه في العمق محكوم بمنطق الخوارزميات واقتصاد الانتباه، فالتفاعل لا يُكافأ بناءً على عقلانيته، بل على قدرته على جذب الانتباه ما يؤدي إلى هيمنة الخطاب الانفعالي والاستقطابي، وتراجع التواصل العقلاني الذي افترضه هابرماس (بلقزيز، 2019)، ويمكن تفسير هذا بانتقالنا من الفعل التواصلي إلى ما يمكن تسميته بـ "الفعل الاتصالي الموجّه خوارزمياً"، حيث يُعاد ترتيب أولويات الخطاب وفق منطق غيار اجتماعي في ظاهره لكنه شديد التأثير في البنية الاجتماعية للتفاعل.

3. التحولات في أنماط السلوك الاتصالي الرقمي:

أفرز الانتشار الواسع لتقنيات الاتصال الرقمي، لاسيما منصات التواصل الاجتماعي تحولات عميقة في أنماط السلوك الاتصالي لم تقتصر على شكل التواصل فحسب و امتدت إلى مضمونه ووظائفه ودلالاته الاجتماعية، فقد انتقل السلوك الاتصالي من كونه فعلاً تفاعلياً محكوماً بسياق اجتماعي مباشر، إلى ممارسة رقمية تتم داخل فضاءات افتراضية تتسم بالسرعة والتعدد والتشابك وتخضع لمنطق تقني وخوارزمي يعيد توجيه الفعل الاتصالي ومن أبرز هذه التحولات:

➤ تراجع التواصل الخطي القائم على الحوار المتبادل، لصالح أنماط اتصالية مختزلة تقوم على التفاعل السريع والآني، مثل الإعجاب والمشاركة والتعليق المقتضب، ويعكس هذا التحول نزعة متزايدة نحو اقتصاد الانتباه، حيث تصبح قيمة الخطاب مرهونة بقدرته على جذب التفاعل، لا بعمقه المعرفي أو قوته الحجاجية (مرزوقي، 2020) وفي هذا السياق يتحول السلوك الاتصالي إلى ممارسة استعراضية، يسعى من خلالها الفاعل الاجتماعي إلى تعزيز حضوره الرقمي وضمان مريثته داخل الفضاء الافتراضي.

➤ كما يشهد السلوك الاتصالي الرقمي تحولاً في طبيعة العلاقة بين الفاعلين، إذ تُستبدل العلاقات المباشرة بعلاقات شبكية تتسم بالهشاشة وقابلية التفكك، ويحل منطق المتابعة والاهتمام محل منطق الانتماء الاجتماعي التقليدي، ويؤدي هذا التحول إلى إعادة تشكيل أشكال الاعتراف الاجتماعي، حيث يصبح التفاعل الرقمي مؤشراً رمزياً على القبول الاجتماعي، ومصدراً لإعادة إنتاج المكانة داخل الجماعات الافتراضية (بن عبد الله، 2020).

➤ من جهة أخرى يبرز الطابع الانفعالي للسلوك الاتصالي الرقمي بوصفه سمة مركزية، حيث تُغذّي المنصات المحتوى المثير للجدل والانقسام، ما يسهم في تصاعد أنماط التواصل الاستقطابي، وتراجع الحوار العقلاني. ويترب عن ذلك تحول الفضاء الرقمي

من مجال للتبادل الرمزي إلى ساحة للصراع الرمزي، تُستعمل فيها اللغة كأداة للتأثير أو الإقصاء بدل التفاهم.

ولا يمكن فصل هذه التحولات عن آليات الضبط الاجتماعي الجديدة التي تمارسها المنصات الرقمية، إذ يخضع السلوك الاتصالي لمنظومة غير مرئية من القواعد، تتمثل في الخوارزميات، وسياسات المحتوى، وثقافة "الترند"، ونتيجة لذلك يعيد الأفراد تشكيل خطاباتهم وسلوكياتهم الاتصالية بما يتوافق مع ما هو قابل للانتشار والقبول، ما يعكس انتقال الضبط الاجتماعي من صورته التقليدية المباشرة إلى أشكال أكثر نعومة وتعقيداً وفي المحصلة تكشف التحولات في أنماط السلوك الاتصالي الرقمي عن إعادة صياغة عميقة للفعل الاتصالي، حيث لم يعد مجرد أداة للتواصل فقط و أصبح ممارسة اجتماعية محكومة بتفاعلات معقدة بين الذات، والتقنية، والبنية الاجتماعية (كاستلز، 2010)، وهو ما يستدعي مقارنة سوسبولوجية نقدية تتجاوز الوصف الظاهري للتقنيات، نحو تفكيك رهاناتها الاجتماعية والثقافية والرمزية.

4. العوامل المتحكمة في التفاعل الرقمي :

لا يُعدّ التفاعل الرقمي نتاجاً عفويّاً لإرادة الأفراد أو لرغبتهم الحرة في التواصل، بل هو ممارسة اجتماعية مركّبة تخضع لجملة من العوامل المتداخلة، التقنية والاجتماعية والثقافية التي تسهم في توجيه أنماطه، وضبط إيقاعه وتحديد أشكال حضوره داخل الفضاءات الرقمية، ويمكن مقارنة هذه العوامل ضمن أبعاد تحليلية متكاملة تبرز الطبيعة البنوية للتفاعل الرقمي.

➤ العامل التقني-الخوارزمي: تُعدّ الخوارزميات من أهم العوامل المتحكمة في التفاعل الرقمي، إذ تقوم بتصفية المحتوى وترتيب ظهوره، وتوجيه انتباه المستخدمين نحو موضوعات وخطابات بعينها، ولا يقتصر دورها على التنظيم التقني بل يمتد إلى إعادة تشكيل السلوك الاتصالي، من خلال مكافأة أنماط معينة من التفاعل (الإثارة، الجدل التكرار) مقابل تهميش أخرى أقل قابلية للانتشار، وبذلك تتحول الخوارزميات إلى

فاعل اجتماعي غير مرئي يمارس شكلاً من أشكال السلطة الرمزية، ويعيد إنتاج اللامساواة الرقمية بين المستخدمين.

➤ **العامل الاجتماعي والثقافي:** يظل التفاعل الرقمي مرتبطاً بالبنى الاجتماعية والثقافية التي ينتمي إليها الأفراد إذ تنتقل القيم والمعايير والتمثيلات الاجتماعية إلى الفضاء الرقمي، وإن بصيغ جديدة فالانتماء الطبقي والمستوى التعليمي والنوع الاجتماعي والسياق الثقافي كلها عوامل تؤثر في أساليب التعبير، وجرأة المشاركة، وأنماط الخطاب، وعليه لا يمكن اعتبار الفضاء الرقمي فضاءً محايداً أو متجانساً، بل هو امتداد رقمي للتفاوتات الاجتماعية القائمة، مع ما يرافق ذلك من إعادة إنتاج للهيمنة والتمييز الرمزي.

➤ **العامل النفسي والذاتي:** يلعب البعد النفسي دوراً مهماً في توجيه التفاعل الرقمي، حيث يسهم البحث عن الاعتراف وتأكيد الذات والرغبة في القبول الاجتماعي في تشكيل السلوك الاتصالي، ويؤدي هذا العامل إلى تعزيز الممارسات الاستعراضية، والميل إلى تبني خطابات تحظى بتفاعل مرتفع حتى وإن كانت سطحية أو مثيرة للجدل، كما يسهم الإحساس النسبي بالأمان واللا-وجاهية في الفضاء الرقمي في تشجيع بعض الأفراد على التعبير بحرية أكبر، وأحياناً على ممارسة العنف الرمزي.

➤ **العامل الاقتصادي ومنطق السوق الرقمي:** يخضع التفاعل الرقمي لمنطق اقتصادي قائم على اقتصاد الانتباه، حيث تتحول التفاعلات إلى بيانات تُستثمر تجارياً، وتدفع هذه الدينامية المنصات إلى تعزيز المحتوى الأكثر جذباً للإعلانات، ما يؤثر بشكل مباشر في طبيعة الخطاب المتداول، ويحدّ من انتشار المضامين النقدية أو العميقة، وبذلك يصبح التفاعل الرقمي محكوماً بعلاقة غير متكافئة بين المستخدمين والمنصات، تُختزل فيها حرية التعبير ضمن حدود الربحية.

➤ **العامل السياسي والتنظيمي:** تلعب السياسات العمومية والتشريعات وقواعد المنصات دوراً حاسماً في ضبط التفاعل الرقمي، سواء من خلال الرقابة المباشرة، أو عبر تنظيم المحتوى وحذفه ويؤثر هذا العامل في مستوى الثقة، وجرأة المشاركة، وحدود التعبير خاصة في السياقات التي تعرف توتراً بين السلطة والمجتمع، وفي هذا

الإطار يتحول التفاعل الرقمي إلى مجال تفاوض دائم بين التعبير الحر والضبط المؤسسي.

➤ العامل الزمني وسرعة التداول: تفرض السرعة الرقمية إيقاعًا خاصًا على التفاعل حيث يُنتج الزمن القصير ضغطًا مستمرًا على الفاعلين الاجتماعيين للاستجابة السريعة، ما يقلل من فرص التأمل والنقاش المعمق، ويؤدي هذا العامل إلى هيمنة التفاعل الآني على حساب التفاعل التحليلي وإلى تضخم ردود الفعل السطحية.

وفي الأخير يمكن القول أن هذه العوامل تُظهر أن التفاعل الرقمي ليس سلوكًا فرديًا معزولًا فهو ممارسة اجتماعية مؤطرة ببنى متعددة المستويات، ويكمن الرهان السوسبولوجي في تفكيك هذه العوامل والكشف عن تفاعلاتها الخفية بدل الاكتفاء بتفسير التفاعل الرقمي بوصفه تعبيرًا عن حرية فردية مطلقة أو نتيجة حتمية للتقدم التكنولوجي.

5. دراسة تفاعلات المستخدمين في مجموعات واتساب التعليمية والفيسبوك:

تمثل المجموعات التعليمية على منصتي واتساب وفيسبوك نموذجًا مناسبًا لتحليل العوامل المتحكمة في التفاعل الرقمي، باعتبارهما فضاءين رقميين مختلفين من حيث البنية التقنية وطبيعة الجمهور ومنطق التفاعل، فرغم اشتراكهما في الهدف التعليمي الظاهر إلا أن أنماط السلوك الاتصالي داخلهما تتباين بشكل واضح، ما يعكس تأثير العوامل التقنية والاجتماعية والتنظيمية في تشكيل التفاعل وعليه يتجلى هذا التباين في:

➤ الفورية مقابل الانتقائية: في مجموعات واتساب التعليمية يتميز التفاعل بطابع فوري ومزامن، حيث تصل الرسائل مباشرة إلى جميع الأعضاء دون تصفية خوارزمية، أما في مجموعات فيسبوك فيخضع المحتوى لمنطق الخوارزميات التي تحدد مدى ظهوره وتوقيته حيث تُسهم هذه البنية التقنية في جعل التفاعل على واتساب أكثر كثافة آنية لكنه أقل تنظيمًا حيث تتداخل الرسائل التعليمية مع غيرها، ما يؤدي أحيانًا إلى تشويش معرفي، في المقابل يُنتج فيسبوك تفاعلًا أكثر انتقائية إذ تحظى بعض المنشورات بمرئية عالية بينما تُهمَّش أخرى بغض النظر عن قيمتها العلمية، ففي

مجموعة واتساب لطلبة الجامعة يُلاحظ أن الإعلان عن موعد اختبار يلقي تفاعلاً سريعاً من معظم الأعضاء خلال دقائق، بينما في مجموعة فيسبوك تعليمية قد لا يظهر المنشور نفسه إلا لجزء من الأعضاء ما يؤدي إلى تفاوت في الوصول إلى المعلومة، و يكشف هذا الاختلاف أن الخوارزمية في فيسبوك تمارس ضبطاً غير مرئي للتفاعل بينما يمارس واتساب ضبطاً زمنياً قائماً على الفوري.

➤ **القرب الاجتماعي مقابل المسافة الرمزية:** تنسم مجموعات واتساب التعليمية غالباً بطابع شبه مغلق، يضم طلبة ينتمون إلى نفس القسم أو المؤسسة، أما مجموعات فيسبوك التعليمية فتتسم باتساع دائرة الانتماء وتنوع الخلفيات، ويؤدي القرب الاجتماعي في واتساب إلى تعزيز التفاعل لكنه في الوقت نفسه يفرض رقابة اجتماعية ضمنية، تجعل بعض الأعضاء يترددون في طرح الأسئلة خوفاً من التقييم الاجتماعي، بينما تتيح المسافة الرمزية في فيسبوك هامشاً أوسع للتعبير لكنها تُضعف أحياناً الالتزام الجماعي، لذلك يميل الطلبة في مجموعات واتساب إلى إرسال استفسارات خاصة بدل طرحها علناً في المجموعة، في حين تُطرح الأسئلة بشكل علني وأكثر جرأة في مجموعات فيسبوك التعليمية، ويعكس هذا التباين استمرار تأثير البنى الاجتماعية التقليدية داخل الفضاء الرقمي، ما ينفي فكرة تحرر التفاعل الرقمي من القيود الاجتماعية.

➤ **البحث عن الطمأنينة مقابل البحث عن الاعتراف:** في واتساب يغلب على التفاعل الطابع النفعي المرتبط بالحاجة إلى المعلومة السريعة، أما في فيسبوك فيرتبط التفاعل غالباً بالرغبة في الظهور والحصول على الإعجابات والتعليقات، وينتج عن ذلك اختلاف في أنماط السلوك الاتصالي؛ إذ يميل مستخدمو واتساب إلى الاختصار والتفاعل الوظيفي بينما يميل مستخدمو فيسبوك إلى صياغة منشورات مطوّلة نسبياً، أحياناً بطابع استعراضي، فنشر ملخص درس مثلاً في مجموعة واتساب غالباً لا يلقي سوى ردود مقتضبة مثل شكرًا، بينما في فيسبوك قد يُعاد نشره مع تعليق شخص ويُقاس نجاحه بعدد الإعجابات والمشاركات، وهنا يمكن الحديث عن تحول الاعتراف الاجتماعي من اعتراف معرفي إلى اعتراف رقمي رمزي.

➤ العامل التنظيمي والضبط الاجتماعي: تخضع مجموعات واتساب غالبًا لسلطة إدارية مباشرة (أستاذ، مندوب فوج)، بينما تعتمد مجموعات فيسبوك على قواعد نشر عامة وإشراف غير دائم، ويسهم هذا العامل في ضبط التفاعل في واتساب بشكل أكثر صرامة، ما يحدّ أحيانًا من النقاش الحر، في حين يسمح فيسبوك بهوامش أوسع للنقاش، لكنها قد تنزلق إلى الفوضى أو الخروج عن الهدف التعليمي، ويتم حذف الرسائل الخارجة عن الموضوع بسرعة في مجموعات واتساب التعليمية، بينما تبقى منشورات مشابهة في مجموعات فيسبوك وتثير جدلاً مطوّلاً، ويعكس هذا الفرق انتقال الضبط الاجتماعي من الضبط المباشر إلى الضبط الخوارزمي والجماعي، وعليه تُظهر هذه المقارنة أن التفاعل الرقمي في المجموعات التعليمية ليس موحدًا، بل يتشكل وفق طبيعة المنصة والعوامل المتحركة فيها فواتساب يعزز التفاعل الوظيفي السريع لكنه يحدّ من النقاش العميق بينما يتيح فيسبوك نقاشًا أوسع لكنه يخضع لمنطق الخوارزميات والاعتراف الرمزي، فالمنصة ليست مجرد وسيط محايد بل بنية فاعلة تعيد تشكيل السلوك الاتصالي التعليمي.

6. رهانات وتحديات التفاعل الرقمي:

مع تصاعد الحضور الرقمي في تفاصيل الحياة اليومية، لم يعد التفاعل عبر المنصات الاجتماعية مجرد نشاط ثانوي، بل أصبح جزءًا بنيويًا من تشكيل العلاقات والقيم والتصورات، غير أن هذا الحضور لا يخلو من إشكالات جوهرية تطرح تساؤلات عميقة حول حقيقة العلاقات الرقمية ومدى مصداقية التمثيل والتموقع داخل الفضاء الافتراضي إضافة إلى صعود أشكال جديدة من السلطة الرمزية، تمارس تأثيرها من خلف ستار الخوارزميات والتمويل والمحتوى الرائج (التريند)، هذا المحور يتوقف عند هذه التحولات المفصلية، محللاً إياها من زاوية سوسبولوجيا التفاعل الرقمي، عبر ثلاثة مستويات مترابطة: الاجتماعي (العلاقات)، المعرفي (الثقة والتمثيل)، والرمزي (الهيمنة والتأثير)

➤ هل التفاعل الرقمي يُنتج علاقات اجتماعية حقيقية أم وهمية؟ يطرح التفاعل الرقمي اليوم إشكالاً وجودياً حول طبيعته هل هو امتداد للعلاقات الواقعية؟ أم بديل وهي؟ بعض الدراسات ترى أن العلاقات الرقمية تحمل طابعاً وظيفياً سريع الزوال، إذ تنفجر إلى العمق والتواصل العاطفي المباشر، ما يجعلها أكثر هشاشة وتسرباً فهناك دراسات خلصت إلى أن تفاعلات الطالبات عبر مجموعات واتساب التعليمية ساهمت في تعزيز التعاون الدراسي، لكنها ظلت محدودة على المستويات الإنسانية الأعمق، خاصة في غياب التقاء وجهي مباشر أو تفاعل وجداني حقيقي، وفي المقابل تُظهر مجموعات فيسبوك ذات الطابع النضالي، كما في إثنوغرافيا نوعاً من الانخراط الرمزي والسياسي لكنه يتصف أحياناً بطابع استعراضي (Performative)، حيث "يحاكي المستخدم الانخراط دون امتلاك رأسمال حقيقي من التفاعل أو التأثير"، ما يعكس هشاشة هذه العلاقات (كشروود، 2022)

➤ أزمة الثقة والتمثيل في الفضاء الرقمي: أحد التحديات الجوهرية في الفضاء الرقمي يتمثل في غياب اليقين حول الهوية والثقة. تشير كلثوم بيبيمون إلى أن المستخدم في البيئة الرقمية قادر على "تعديل وتمويه أو خلق هوية جديدة"، ما يُضعف من شروط الثقة المتبادلة التي تتأسس تقليدياً على التفاعل الوجداني والشفافية، و أيضاً غموض الهوية الرقمية يسهم في تنامي مظاهر التنمر الإلكتروني، حيث يصعب تحديد مصادر الاعتداء أو التفاعل، مما يفضي إلى أزمة تمثيل رمزي داخل الفضاء الافتراضي، المشاركون عبّروا عن شعورهم بفقدان السيطرة على صورتهم في المنصات، في ظل تغول الحسابات الوهمية والمزيفة.

➤ إشكالية السلطة الرمزية الجديدة: الخوارزميات، التريند، والتأثير الممول:

-الخوارزميات كسلطة رمزية: تمثل الخوارزميات سلطة غير مرئية تُعيد ترتيب الأولويات الاتصالية، فتُبهرز محتوى وتُخفي آخر وتوجّه سلوك المستخدمين دون وعيهم المباشر، الخوارزميات تعزّز من انتشار المحتوى المثير للجدل أو العاطفي، مما يزيد من حدة التنمر والانفعالات الرقمية.

-التريند والتأثير الممول: أن الهيمنة الرمزية على المحتوى ليست فقط نتيجة شعبية طبيعية، بل كثيرًا ما تكون مدفوعة وممولة، حيث يحدد التفاعل الخوارزمي من يظهر ومن يُهمَّش، ما يطرح تساؤلًا حول العدالة في التمثيل والتأثير.

-مقاومة مضادة؟ مع هذه الهيمنة ظهرت محاولات مقاومة خوارزمية، عبر حملات تنسيقية رقمية وتشكيل شبكات مضادة تروج لمحتوى بديل، الحملة التوعوية "#لا_للتنمر"، التي عملت على كسر نمط التفاعل العشوائي وتحقيق تفاعل ذي طابع قيمي وإنساني.

7. الاقتراحات والتوصيات:

نعرض بعض الاقتراحات والتوصيات التي يمكن الأخذ بها لتجاوز تحديات التفاعل الرقمي:

-تعزيز التربية الرقمية النقدية: من خلال دمج "التربية على الفضاء الرقمي" ضمن المناهج التعليمية (المدرسية والجامعية) لتكوين وعي نقدي لدى الأفراد حول آليات التفاعل، مصادر المعلومة، والسلطة الخوارزمية، لأجل التخفيف من السلوك الاتصالي السلبي (تنمر، تضليل، تكرار المحتوى) وتنمية مهارات المواطنة الرقمية.

- مأسسة أخلاقيات الاتصال الرقمي: القيام بإنشاء "ميثاق سلوك رقمي" ضمن الجامعات والمؤسسات الثقافية، يراعي قيم الحوار، والاختلاف، واحترام الخصوصية الرقمية، من شأنه خلق ثقافة رقمية قائمة على المسؤولية والتوازن بين حرية التعبير والحفاظ على الكرامة الإنسانية.

- المطالبة بشفافية الخوارزميات : وذلك بالضغط على الشركات المالكة للمنصات الرقمية (تويتر، فيسبوك، إنستغرام...) لنشر بيانات واضحة حول آليات التصنيف والترشيح (ranking) للمحتوى، لأجل الحد من تحيز الخوارزميات وضمان تمثيل عادل للأصوات الرقمية، خصوصًا في قضايا اجتماعية حساسة.

- تشجيع البدائل الرقمية المحلية: من خلال دعم تطوير منصات تواصل اجتماعي محلية أو إقليمية تراعي الخصوصية الثقافية وتقدم بدائل بنوية للمنصات التجارية، والذي من شأنه تقليص التبعية الرقمية للمنصات الأجنبية التي تفرض أنظمة تواصل ومعايير رمزية غير محايدة

- إطلاق مختبرات رقمية بحثية متعددة التخصصات: من خلال تأسيس فرق بحث مشتركة تضم سوسيولوجيين إعلاميين، مختصين في الذكاء الاصطناعي لتحليل أنماط التفاعل الرقمي وتقديم توصيات دقيقة لصنّاع القرار، لا جل بناء معرفة علمية دقيقة وعابرة للتخصصات حول الظواهر الرقمية المتغيرة.

خاتمة:

تكشف سوسبولوجيا التفاعل الرقمي عن تحوّل جذري في طبيعة العلاقات الاجتماعية، حيث لم تعد الروابط الإنسانية قائمة على الحضور الفيزيائي أو الزمن المشترك، بل أضحت مركبة، مرنة، وعابرة للحدود المكانية والرمزية. فالفضاء الرقمي ليس مجرد وسيط تواصل، بل هو بنية اجتماعية جديدة تتفاعل فيها الرموز، والهويات والخوارزميات، وتعيد تشكيل أنماط السلوك والتمثيلات الجماعية.

لقد بيّنت هذه الدراسة من خلال الإسناد النظري (هابرماس، بورديو، غوفمان) والتحليل الميداني، أن الفضاء الرقمي يحمل في طياته وعودًا بالتححرر والتواصل والانفتاح لكنه في الآن نفسه يُنتج أشكالاً جديدة من الهيمنة الرمزية، والتمهيش والانغلاق داخل دوائر مغلقة من التفاعل المؤدلج والمُفلتر.

كما أوضحت المحاور أن السلوك الاتصالي في المنصات لم يعد مجرد فعل تواصل بسيط، بل بات محكومًا بـ"اقتصاد رمزي خوارزمي" تتحكم فيه خوارزميات لا مرئية تُعيد تشكيل الحضور، التأثير، والتفاعل. وهنا، تبرز الحاجة الملحة إلى تربية رقمية نقدية، ووعي سوسيولوجي جديد، يُمكن الأفراد من إعادة امتلاك أدواتهم الرمزية داخل هذا الفضاء

المعولم، ختامًا فإن مستقبل العلاقة بين الإنسان والرقمي يتوقف على قدرتنا الجماعية على إعادة التوازن بين التفاعل والمعنى بين التقنية والقيم، وبين السرعة والتفكير فالرقمي ليس قدرًا، بل أفقًا اجتماعيًا مفتوحًا، يحتاج إلى تأطير، نقد، وتخيل مستمرين

قائمة المراجع:

1. المؤلفات:

- أحمد بن سعيد الزهراني. (2019). التفاعل الاجتماعي في شبكات التواصل الاجتماعي: مقارنة سوسبولوجية. الرياض: جامعة الملك سعود للنشر.
- حسن عماد مكاي. (2017). نظريات الإعلام واتجاهات التأثير. القاهرة: عالم الكتب.
- عبد الإله بلقزيز. (2019). الدين والسياسة في زمن التواصل الرقمي. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- عبد الرحمن عزي. (2014). الإعلام الإلكتروني: المفاهيم والتطبيقات. الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع.
- عبد السلام عبد الحميد. (2015). التواصل الاجتماعي في البيئة الرقمية: الأبعاد والتحديات. القاهرة: عالم الكتب.
- عبد السلام عبد الحميد. (2016). الاتصال الإنساني: الأسس النظرية والتطبيقات العملية. القاهرة: عالم الكتب.
- عبد الله الغدامي. (2013). ثقافة تويتر: لحظة التحول الثقافي. الدرا البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- مانويل كاستلز ترجمة محمد عارف. (2010). مجتمع الشبكة. الكويت: عالم المعرفة.
- نبيل علي. (2014). الثقافة العربية وعصر المعلومات. (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المحرر) الكويت: عالم المعرفة.
- محمد حمودة. (2020). المجتمع الرقمي وتحولات الفعل الاتصالي. عمان: دار الميسرة للنشر والتوزيع.
- محمد عبد الحميد. (2016). نظريات الإعلام واتجاهات التأثير. القاهرة: عالم الكتب.

2. الأطروحات:



فاطمة الزهراء كشرود. (2022). الفضاء الرقمي والمشاركة في الجزائر. مذكرة لنيل شهادة الماجستير. جامعة الجزائر3، الجزائر.

3.المقالات:

● دورية على الأنترنت:

- ليلي مرزوقي. (2020). المنصات الرقمية وإعادة تشكيل التفاعل الاجتماعي. مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، 12.

- محمد بن عبد الله. (2020). التفاعل الاجتماعي في شبكات التواصل الرقمي. مجلة الفكر العربي المعاصر، 121.